منذُ أن نطقت شفاه الرسول بأحرف النور ، وانتهجت للناس طريق الهدى والسرور ، والمسلمون يتلقّفون تلك الحروف بشغف الوقوف على أسرارها السامية، ولهفة الاطلاع على خفاياها النبيلة، فبقي كلام الله المعجز ، وصرح رسالته المنجز ، لا تدرك منه العقول إلّا القليل، ولا تقف على عظمته إلّا بجهد جزيل، ليكون دافع الدرس فيه بازدياد لتجول في عالمه أقلام العلماء، وتخوض في سره جهود الباحثين، فكان في مقدمة تلك الجهود ما قدَّمه الجهد التفسيري من وقفات عكست عظيم القرآن، وتأملات أبرزت جهدًا كبيرًا تنحني له الرؤوس إجلالًا وإعظامًا؛ وما قدَّمه ابن عادل في تفسيره (اللباب في علوم الكتاب) قد شكَّل جهدًا تفسيريًا كان محط اهتمام الدرسين اللغوي والتفسيري، نظرًا إلى ما اكتنز في هذا التفسير الجليل من تأملات قرآنية، ووقفات بيانية، حاول فيها ابن عادل مفاتشة أغلب الآراء، ومطارحة أغلب وجهات النظر ، ليشغل هذا التفسير مساحة كبيرة في التأليف التفسيري القديم.

من هذه الأهمية الكبيرة لهذا التفسير كانت رغبتي كبيرة في دراسة القرائن النحوية فيه، لما فيه من مفاتشات على مستوى المعنى النحوي، فلابن عادل في تفسيره وقفات رائعة على ملامح الأبعاد الدلالية في الآيات القرآنية، فضلًا عمَّا احتوى تفسيره من عرض مميز لآراء المفسرين وقف عليها ابن عادل وقفات متأنية يأخذ بوجه نحوي دلالي ما ويرد آخر ، ويعترض على مفسر ما ويتبنّى رأيًا آخر ، بوساطة الاعتماد الكبير على القرائن النحوية اللفظية، فهو يبني تفسير العديد من الآيات القرآنية على تقسيم المعنى على معنى نحوي وآخر دلالي، فيقول هذا من جهة المعنى وجهة الصنعة، ممَّا جعل من تفسيره عينة صالحة للدراسة عبر تقصي اعتماده على القرائن

اللفظية النحوية في التوجيهين النحوي والدلالي، ليستقر بي الرأي على دراستها بالعنوان الآتي (الأثر الدلالي للقرائن اللفظية النحوية في تفسير اللباب في علوم الكتاب لابن عادل).

ولمَّا كانت الرسالة مختصة بالقرائن التركيبية فقد اقتصرنا تبعًا لهذا على أربع قرائن، هي (قرينة الأداة، وقرينة التضام، وقرينة الربط، وقرينة الرتبة).

وقد قُسِّمت الرسالة على أربعة فصول، سبقها تمهيد جاء الحديث فيه على قسمين، الأول: كان مخصصًا للحديث عن القرينة، مفهومها على الصعيدين في اللغة والاصطلاح، فضلًا عن تتبع استعمالات المصطلح، وبيان أنواعها، فوقفنا على استعماله عند البلاغيين، وعند المفسرين، وعند الأصوليين، لننتقل بعد ذلك للحديث عنه عند اللغويين بتتبع من الدرس القديم إلى الدرس الحديث، وقد وقفنا في مضمار الدرس الحديث على أهم الباحثين ممَّن اهتم بالقرينة على مستوى التأليف والتقسيم وبيان الأنواع، ليأتي القسم الثاني فيأخذ بالحديث عن المعنى، فوقفنا على بيان المفهوم على مستوى البُعْد اللغوي وكذلك الاصطلاحي، بعدها جاء الحديث عن أنواع المعنى، فوقفنا عند تقسيم الدكتور تمام حسان، وتقسيم الدكتور أحمد مختار عمر لشهرة التقسيمين، بعد ذلك بيّنا الأثر الدلالي للقرائن بنماذج قرآنية قليلة كان الحديث فيها بشكل عام عن هذا الأثر.

وقد استغنت الباحثة عن التعرض لسنة وفاة ابن عادل بسبب الاختلاف الحاصل في تحديدها، فعمر رضا كحالة قد ذكر أنَّه كان حيًّا في سنة (٨٧٩هـ)[١]، في حين ذكر الزركلي أنَّه توفي سنة (٨٨٠هـ)[٢]، كما استغنت عن التعرض لحياة ابن عادل لوفرة الحديث عنها بالشرح والتفصيل ضمن رسائل جامعية عدة تناولت حياته، منها: (التأويل النحوي عند ابن عادل الحنبلي في تفسيره اللباب في علوم الكتاب)، أطروحة دكتوراه للطالب صالح زيتوني، جامعة محمد خيضر، الجزائر، و(اختيارات ابن عادل النحوية في كتابه اللباب في علوم الكتاب)، أطروحة دكتوراه للطالب عبد الله بن عمير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، و(الموازنة بين تفسيري الرازي وابن عادل – دراسة مقارنة تحليلية في الجزء الخامس عشر من القرآن الكريم)، رسالة ماجستير للطالب دام تمبيد، جامعة إفريقيا العالمية، جمهورية السودان.

وجاء الفصل الأول للحديث عن قرينة الأداة، فتناولته من جهات عدة، هي: الأثر الدلالي لذكر الأداة وعدمه، والأثر الدلالي لحذف الأداة، وإظهار المعنى ببيان معنى الأداة، والأثر الدلالي

لتغيير معنى الأداة، والأثر الدلالي لاختلاف المعنى الوظيفي للأداة، و أثر قرينة الأداة في الدلالة الزمنية، والتجاذب الدلالي بين قرينة الأداة وقرائن أخرى.

وخُصِّص الفصل الثاني لقرينة التضام، فبعد بيان التضام في اللغة والاصطلاح شرعنا بتقسيمه على ثلاثة أنوع، هي: (التلازم والافتقار)، و(التنافر والتنافي)، و(الاختصاص)، وفي كل نوع عرضنا نماذج قرآنية وقف عندها ابن عادل.

أمَّا الفصل الثالث فقد خُصِّص للحديث عن قرينة الربط، وشمل أربعة أنواع، هي: (الربط بالإحالة)، واشتمل على (**الإحالة بالضمير**)، وقُسِّم على الربط بالإحالة بالضمير وأثره في التركيب، والربط بالإحالة بالضمير إلى المفسَّر المذكور، وقد اشتمل على: (الإحالة إلى مفسَّر مذكور أولى من الإحالة إلى مفسَّر محذوف، والإحالة إلى المفسَّر الأقرب أولى من الإحالة إلى المفسَّر الأبعد)، والربط بالإحالة بالضمير إلى مفسَّر غير المذكور، وتعدد دلالة المحيل لتعدد دلالة المحال إليه، والربط بالإحالة بالضمير وتأثره بقيد المطابقة بين المحيل والمحال إليه، والربط بالإحالة بالضمير وتأثره بالسياق اللغوي، واشتمل على: (التأثر بالسياق اللغوي السابق لها، والتأثر بالسياق اللغوي اللاحق)، وكذلك اشتمل هذا الفصل على (**الإحالة باسم الإشارة**)، وقُسِّم على: (الربط بالإحالة باسم الإشارة والمشار إليه مذكور، والربط بالإحالة باسم الإشارة والمشار إليه غير مذكور، والربط بالإحالة باسم الإشارة مع تعدد المشار إليه)، وكذلك (**الإحالة بالاسم الموصول**)، ثم جاء القسم الثالث بعنوان (الربط بالأداة)، واشتمل على: (الربط بالأدوات الداخلة على المفردات، والربط بالأدوات الداخلة على الجمل)، بعدها جاء الحديث عن الربط بالمطابقة، واشتمل على: الربط بالمطابقة بين المسند والمسند إليه، واشتمل على: (الربط بالمطابقة بين المبتدأ، والربط بالمطابقة بين الفعل والفاعل)، والربط بالمطابقة بين التابع والمتبوع، واشتمل على: (الربط بالمطابقة بين الصفة والموصوف، والربط بالمطابقة بين المعطوف والمعطوف عليه، والربط بالمطابقة بين البدل والمبدل منه)، فضلاً عن الربط بالمطابقة بين الضمير ومرجعه، والربط بالمطابقة بين المشير والمشار إليه، أمَّا الموطن الأخير من الربط فقد جاء بعنوان (الربط بالتكرار)، واشتمل على: (التكرار باللفظ، والتكرار بالمعنى).

وجاء الفصل الأخير خاصًا للحديث عن قرينة الرتبة، وقد قسَّمناه على محورين، الأول خُصِّص للحديث عن الرتبة المحفوظة، والثاني كان للحديث عن الرتبة غير المحفوظة، وبيان ذلك

جاء عبر الوقوف على نماذج قرآنية استند فيها ابن عادل إلى هذه القرينة لبيان الأثر الدلالي لها. ثم جاءت الخاتمة بعرض لأهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

وقد اعتمدت الباحثة على المنهج التحليلي، وذلك ببيان وقوف ابن عادل على الآيات القرآنية التي استند فيه إلى القرائن اللفظية النحوية وبيان أثرها في توجيهه الدلالي والنحوي، مع التعرض لما قاله بعض المفسرين في بعض المواطن التفسيرية، وبيان موافقته لوجه ما ومخالفته لوجه آخر، ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ العديد من الآراء ووجهات النظر التفسيرية والنحوية والدلالية التي ذكرها ووقف عندها ابن عادل سبق إلى ذكرها السمينُ الحلبي، ولم ينص ابن عادل على ذلك صراحة ممَّا دفعنا إلى الإشارة إلى موطن ذكرها في تفسير (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون) للسمين الحلبي.

واعتمد الباحثة أيضًا على العديد من المصادر التي تنوّعت بين العنوانات النحوية، والدلالية، وقد جاء الاعتماد الكبير على التفاسير لارتباطها الوثيق بالمادة البحثية، وليس الاعتماد على الكتب النحوية القديمة والحديثة بأقل منها، فضلًا عن الرسائل والأطاريح والبحوث المنشورة وأهمها (أثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط لأبي حيان)، أطروحة دكتوراه أحمد خضير عباس، جامعة الكوفة، كلية الآداب، فقد كانت خير معين لي طوال مدة كتابة الرسالة.

وقد واجه البحث جملة من الصعوبات، لعلَّ أهمها التعامل الحذر مع آيات القرآن الكريم لقداسته من جانب، وبُعْد أسراره وخفاياه من جانب آخر، فضلًا عن السعة التفسيرية التي عرض فيها المفسرون آراءهم، وهم يقفون على بيان الأثر الدلالي لقرينة ما، فقد تشعّبت الأقوال في العديد من المواطن وتنوّعت، ممَّا تطلب تتبع ما خالف منها الرأي السائد وموقف ابن عادل من ذلك.

لكن منَّ الله علينا بمن كان معينًا على تذليل هذه الصعوبات، فالشكر للأستاذ المشرف الدكتور أحمد خضير عباس، لما بذله من جهد وحرص كبيرين، في قراءة مادة الرسالة وتصويب أخطائها، جزاه الله خير الجزاء وأحسنه، والشكر موصول إلى رئاسة قسم اللغة العربية برئيسها الموقر لما كان لهم من جهود مشكورة طيبة كانت سبيلي في الوصول إلى هذا المجهود.